

التسيب والتسرب

د. محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

أسعدنى ما سمعته من تصريحات الرئيس مبارك ببدء مشروع إنشاء المحطات النووية وإن كان قرارا تأخر كثيرا وطال انتظاره . ومشكلة مصر أننا لظروف عديدة لم تتمكن من استكمال مسيرتنا إلى نهاية المطاف لأن أمريكا وإسرائيل لم تكن لتسمح لنا بأن نتحول إلى قوة علمية وتكنولوجية مؤثرة . وقد ما أسعدنى قرار الرئيس من منطلق " كن متأخرا أفضل من ألا تحضر Better late than never " قدر ما ساورتنى بعض المخاوف . أولها ما هي الرؤية الأمريكية والإسرائيلية لما نحن مقدمون عليه ؟ هل هم راضون ومطمئنون وواقفون فينا إلى هذا الحد ؟ ثم أين ستكون الأماكن التي تنشأ فيها هذه المفاعلات ؟ وهل وارد أن يكون بعضها في سيناء ؟ وهل ستقبل إسرائيل ذلك ؟ وهل سيجرنا ذلك إلى مزيد من التطبيع قبل أن تحل المشكلة الأزلية المشكلة الفلسطينية ؟ وإذا تركنا كل هذه الاعتبارات السياسية وهي اعتبارات بالقطع يكون الرئيس أعلم منا بها فما يساورنى من مخاوف يتلخص في ما وصلنا إليه في أسلوب حياتنا على المستوى العام . فقد أصبح لدى الشعب المصرى بصفة عامة سمة استرخاء غير طبيعى Relaxation . يصل هذا الشعور أحيانا إلى حد الاستهانة Slackness والاستهتار Recklessness نراه في كثير من أمور حياتنا على المستوى الخاص قبل العام بدءا من المرور ومتعة كسر الإشارة والسير في عكس الاتجاه إلى التهاون في احتياطات الأمن والوقاية من الحرائق والماس الكهربى إلى التدهور الحاصل في المستشفيات والعلاج وسوء صيانة كثير من الطرق والمرافق بعد إنشائها . الشعوب التي تستحق النووى لابد أن تكون جديرة به . بل حتى الشعوب المتقدمة لم تسلم من الكوارث مثال ذلك مصيبة تشيرنوبل Chernobyl في روسيا وثرى مايل أيلاند Three Mile Island في أمريكا بجلالة قدرها . بل هناك شكوك حول سلامة مفاعل ديمونة في إسرائيل . هل نحن قادرون كأفراد وهيئات أن نصون ونضمن سلامة وأمن مثل هذه المنشآت الخطيرة . النووى مسئولية ضخمة وليست لعبة بين أيدينا . بل أن كثيرا من دول أوروبا بدأت تغلق منشآتها النووية قلقا من موضوع الأمن والسلامة سواء للتسريب Leakage أو الانهيار Meltdown . صحيح أن النووى مبعث على الاعتزاز القومى والكرامة القومية . وصحيح أنه بات ضروريا مع ازدياد الطلب على الطاقة بشكل مخيف وخاصة للأجيال القادمة . وصحيح أنه سيوفر فرص هائلة لانطلاقة علمية ممكنة وعودة الروح لمشروع طال تعطله . صحيح أن مصر بها ما تبقى من فريق من العلماء والخبراء المقتدرين عاشوا على حلم النووى سنوات عمرهم وأحبطت الأيام طموحهم العلمى وتعود إليهم الآن أحلام الشباب . لقد كانت مصر في الستينات على أعتاب أن تصبح دولة نووية وصناعية كبرى لولا جوانب الخلل التي أدت إلى كارثة 1967 . وهذا بيت القصيد أنى أشعر بالرعب من الثقة الزائدة عن الحد

التي تتتابنا أحيانا فتجعلنا نترأخى ونتوه فى أحلام اليقظة . كنا ندعى أننا أكبر قوة ضاربة ثم انتهى بنا الحال إلى هزيمة موجعة أغرقت الشعب المصرى كله فى اليأس والإحباط والضياع عام 1967 لم ينتشلنا منه إلا نصر أكتوبر العظيم وإن كانت آثار 67 مازالت عالقة عند كثير منا وخاصة الجيل الذى شهدها . نعم النووى ضرورى وسمة أساسية للتقدم ولكن المخاطر والمحاذير كثيرة . من الذى سيدير العمل فيها ؟ هل موظفون شعارهم ما لم ينجز اليوم ينجز غدا أو بعد غد أم هل يديره القطاع الخاص بحثا عن مزيد من الربح . من الذى سيراقب السلامة والأمن ؟ أين ستذهب النفايات ؟ ومن الذى سيوفر الوقود ؟ إذا كانت السحابة السوداء حتى الآن تتحدى الأمة لسنوات لا نستطيع لها حلا . وإذا كان عادم البنزين الملوث بالكبريت يفتك بالجهاز التنفسى للعاملين فى محطات البنزين وسائقى السيارات على السواء . إذا كان التلوث الكائن على طريق المحور فى اتجاه مدينة السادس من أكتوبر غير قابل للحل ولا يستطيع أى محافظ أن يزيله أو يعالج أسبابه . وإذا كانت القاهرة من أكثر مدن العالم تلوثا . وإذا كان حالنا كذلك فكم أشفق علنا أننا أن تدخل مجال النووى وهى غير مستعدة . نعم شابوه Chapeau أى تحية لقرار الرئيس ولكن لا بد أن يتغير أولا أسلوب حياتنا كمصريين . لا بد أن نكون أكثر جدية والتزاما ودقة فى عملنا . لا بد أن يكون الأسلوب العلمى نبراس حياتنا . ولا يمكن أن تسير الأمور بالبركة وحدها أو بالدعاء فحسب وربنا يستر . إن كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم شافية كافية "اعقلها وتوكل" . نعم نريد أن نكون أقوياء متقدمون ولكن لا بد من الانضباط . لا بد من الحسابات الدقيقة . لقد تعلمت شيئا محددًا من الشعوب المتقدمة أنهم يحسبون لكل شىء حسابا ويهتمون بأدق التفاصيل ويخططون على المدى الطويل والمدى القصير فى آن واحد . ويعطون لكل أمر حقه من الإعداد والترتيب وإيجاد البدائل وخطط الطوارئ Contingency Plans . نعم لا بد من النووى ولكن لا بد من تغيير نمط التصرف والسلوك البشرى على كل المستويات . وهل سنلقى مواد إشعاعية فى الحقول كما حدث منذ سنوات . أم يتم تداولها على المقاهى كما تصور البعض فى المسلسلات . الحق أقول أنى لا أعلم جهة فى مصر تتوافر فيها شروط الجدية والانضباط والدقة فى الأداء والإحساس بالمسئولية مثل القوات المسلحة وخاصة بعد حرب 1973 . ولذلك فإنى أتصور أن يكون هذا المشروع العظيم تحت إشراف القوات المسلحة مع إعطاء كافة الضمانات للمجتمع الدولى بعدم جنوح هذا المشروع فى يوم من الأيام إلى أى مسلك حربى فلننا أبدا فى حاجة إلى سلاح نووى فهذا غير وارد بالمرّة . ولكن المطلوب فقط هو الاطمئنان إلى سلامة وأمن المشروع وجدية وانضباط إدارته وليس هناك من يعطى هذا الاطمئنان إلا قواتنا المسلحة الباسلة فهى وحدها بعون الله من يستطيع أن يؤمن المشروع من التسريب والتسرب . اللهم إنى بلغت اللهم فاشهد .